ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

هل بدأ انهيار جيش الاحتلال؟

ناصر قنديل

– تشبه زيارة أموس هوكشتاين وما يدور على بساط التفاوض، بعد التراجع عن التلويح بإلغاء الزيارة احتجاجاً على عدم الرضا عن الملاحظات اللبنانية على مسودة الاتفاق، الزيارة المفاجئة لسفير الكيان في الأمم المتحدة لجناح رئيس وزراء قطر ووزير خارجيتها حمد بن جاسم في فندق إقامته في نيويورك، الذي روى حكاية تلك الزيارة المفاجئة، طالباً إليه الإسراع بوقف النار وقبول الشروط اللبنانية، بعد اتصال من رئيس حكومة الكيان ايهود أولمرت بممثل واشنطن في الأمم المتحدة جون بولتون، طلباً لوقف سريع للحرب، ولو بشروط لبنان التي يقبلها حزب اللّه، وكان السبب هو الميدان، حيث بدأ جيش الاحتلال يعاني هروب جنوده من جبهات القتال ومن تدمير دباباته وعدد قتلاه في ميادين الحرب، والعجز عن امتلاك تصور وفرصة لتغيير اتجاه الحرب. فهل يتكرّر الوضع بصيغة أشد كارثيّة هذه المرة؟

– أكثر من خمسين يوماً على بدء العملية البرية بمرحلتيها الأولى والثانية، وأكثر من شهرين على بدء الحرب الشاملة على لبنان، ورغم كل الخسائر التي أصابت المقاومة وتلك التي أصابت لبنان، يبدو الشهر الأخير بداية خط بياني صاعد لصالح المقاومة، حيث السيطرة البرية للمقاومة بلا منازع، والسيطرة النارية تتعزّز كل يوم لصالح المقاومة، والقتل والتدمير من جانب جيش الاحتلال لا يفعلان شيئاً لجهة تغيير الموازين. فلا البيئة الحاضنة للمقاومة تضعف أو تتخلّى، ولا الدولة اللبنانية مستعدة للقبول بأي صيغة تنتهك السيادة ثمناً لوقف الحرب بمنح الاحتلال امتيازات أمنية من عيار الحركة الحرة في الأرض والمياه والأجواء اللبنانية، أما المقاومة فتتصرف كأن الحرب بدأت اليوم وأن أمامها الكثير لفعله. وآخر ما تحمله تقارير المقاومة من الميدان يقول بهروب سرايا كاملة من فرق النخبة من جبهات القتال، من الخيام إلى عيترون إلى شمع، وبين المستوطنين موجة عارمة من التذمر من الفشل العسكري وسقوط الوعود والآمال التي تمّ بناؤها على الحرب على لبنان، قبل أن تتحوّل إلى نار جهنم تتسع دائرتها وتحرق حيفا بعدما أحرقت كريات شمونة وهي وصلت بنيرانها أول أمس إلى قلب تل أبيب.

– دفع الجبهة الداخلية والجيش في الكيان إلى اليأس من جدوى الحرب هدف رسمته المقاومة لقتالها، ويبدو أنه يتحقق، وأنه وحده يفسّر هذا التهالك الأميركي الذي لا يحدث إلا عندما يكون الإسرائيلي في حال الكارثة، وفي حال القوة والصعود على الضفة الإسرائيلية يأتي الأميركي بهدف إملاء الشروط وعندما لا

يجد استجابة مناسبة يمشي سريعاً ولا يعود إلا إذا نضجت ظروف جني الأرباح، أما في حالة الانكسار والضعف على الضفة الإسرائيلية فيأتي الأميركي ليسوّق دوره كوسيط حريص على وقف الحرب ويسعى لتحقيق ما يمكن دسّه من مكاسب للاحتلال بين السطور، لكن للحصول على وقف الحرب بأي ثمن.

– لا أحد يعلم تفاصيل ما جرى بين رئيس مجلس النواب نبيه برّي والمبعوث الأميركي أموس هوكشتاين، ولا طبيعة التفاصيل التي يتولى نقاشها معاونو الرئيس برّي مع هوكشتاين، لكن الأكيد أن تفاؤل الرئيس بري والمبعوث الأميركي معاً، يقول بأن هناك تقدماً هاماً على مسار التفاوض، يستطيع المبعوث الأميركي الحسم بشأنه قبل زيارته لكيان الاحتلال، ليس لأن واشنطن بإدارتها الكسيحة والصهيونية أو برئيسها المنتخب في وارد الضغط على قادة الكيان لوقف الحرب، والشعور بالمونة هنا هو تفويض بالتوصل لحل مهما كان الثمن وتحصيل أقصى ما يمكن، وبالتأكيد أيضاً فإن الرئيس بري لن يقبل ما يمسّ ثوابت معلومة تتصل بالسيادة والمقاومة، وهو الذي قاد الانتفاضة بوجه اتفاق ١٧ أيار قبل ٤٠ سنة، وفيه مطالب هي نفسها تتكرّر اليوم، لكن حينذاك مع سطوة عسكرية للاحتلال على أبواب العاصمة، وسطوة أميركية داخلية، وسطوة أميركية إسرائيلية على الدولة اللبنانية، وضعف لا يُقاس بقوة اليوم في حال المقاومة. وما لم يقبله بري يومها لن يقبل بمثله اليوم، وهو الذي انتزع للمقاومة نصرها السياسيّ عام ٢٠٠٦ في ظروف كانت فيها أضعف وكانت كلفة الصمود أعلى، وحال الحكومة لا تقارَن بالحاضر.

– عملاً بمعادلة الرئيس بري "لا تقول فول ليصير بالمكيول"، ننتظر لفحص ما إذا كان الاحتلال قد سلّم بالانسحاب من الأراضي اللبنانية المحتلة، ووقف الانتهاكات للأجواء اللبنانية، وهي مكاسب أمر واقع فرضها الاحتلال لـ ١٨ عاماً معطلاً تنفيذ القرار ١٧٠١. ومن ضمن نتائج التعطيل كانت تضحية الكيان باللحظة التي تتيح له المطالبة بانسحاب التشكيلات النظامية للمقاومة وسلاحها الثقيل من جنوب الليطاني، لأن الاحتلال يعتبر عن حق أن البقاء يومياً في الأجواء اللبنانية، واحتلال النقاط الاستراتيجية مثل مزارع شبعا، شرطا العودة إلى الحرب في يوم مقبل ولو بعد سنوات، وهي بذلك أهم من صورة إعلامية لانسحاب تشكيلات المقاومة وسلاحها الثقيل، وهو يعلم أن الأمر لم يعُد كما كان عام ٢٠٠٦، حيث صواريخ المقاومة تطال عمق الكيان من وراء نهر العاصي وليس من وراء نهر الليطاني فقط، فهل قرّر الاحتلال اعتبار هذه آخر حروبه على لبنان؟

– إذا حدث ما يبدو أنه قيد التداول للحدوث فهذا يعني انتصاراً كبيراً وتاريخياً للمقاومة، لأنه لا يعني فقط تحصيل مكاسب وطنية للبنان، بل أيضاً إغلاق الباب على حروب الاحتلال، وفوق ذلك فتح الباب لحوار وطنيّ حول استراتيجية للدفاع الوطني تهرّب منها خصوم المقاومة في الداخل والخارج لأن شرط البحث بتخلّصهم من سلاح المقاومة هو تسليح الجيش بما يردع جيش الاحتلال وأوله شبكات دفاع جويّ فعّالة. يعتقد الأميركي أن السماح بها أشدّ خطراً على أمن الكيان من بقاء سلاح المقاومة، لأن تسليح الجيش لا رجوع عنه إذا حدث مهما تغيّرت الظروف، بينما سلاح المقاومة يمكن أن تتغيّر الظروف وتسمح بحرب عليه أو تأتي معادلات إقليمية تقوم بتقييده، لكن الأهم هو أنه عندما يكون السبب بكل ما يحدث هو انهيار جيش الاحتلال، فهذا يعني أن الحلّ في غزة ليس بعيداً، فالجيش عندما ينهار لا يخرج من حرب ليشنّ حرباً أخرى، وهو يعلم أن تحديات غزة أشدّ إيلاماً من تحديات حرب لبنان.

التفاوض تحت الذّارين

د. حسن أحمد حسن

عندما يُصرُّ كبير القَتَلَة في الكيان السرطانيّ المجرم على تسويق مصطلح «التفاوض تحت النار» فهذا يضع المتلقي تلقائياً أمام تصوّر مُسْبَق وجاهز ومُعَلَّب يقول مضمونه: نتنياهو غير مستعجل لوقف الأعمال القتالية لأنّ الغلبة لجيشه الأكثر تجهيزاً بين جيوش العالم بوسائط القتل والإبادة الجماعيّة، وإطلاق يد النتن ياهو وقطعان المجرمين في جيش الاحتلال لفعل كلّ ما يريدون بلا خوف ولا تردّد، فواشنطن تضمن شلّ إرادة الكون ومنع أي مساءلة على جرائم الحرب، وجرائم الإبادة الجماعيّة والتطهير العرقي بلا حسيب ولا رقيب.

ما يؤكد الكلام السابق تكرار إطلالات

نتنياهو وإعادة تأكيده على فرض مبدأ «التفاوض تحت النار» وليس هذا فحسب، بل وصل الأمر بمجرم العصر إلى إعلان شروطه المسبقة قبل أي وقف لإطلاق النار. ومن المهم هنا التوقف عند بعض النقاط الأساسية التي تجب الإشارة إليها، ومنها:

*التفاوض تحت النار لا يؤلم المقاومة في لبنان وبقية مكوّنات المجتمع اللبناني فقط، بل يفرض الأمر ذاته على الداخل الاستيطاني الإسرائيلي، ولعلّ ما اعترف إعلام العدو الإسرائيلي به بعد عصر يوم الاثنين ٢٠٢٤/١١/١٨م خير شاهد على ذلك، بعد وصول صاروخ باليستي ثقيل وفق التوصيف الإسرائيلي إلى قلب تل أبيب وانفجاره في أحد أبنيتها مخلفاً خسائر ودماراً صوّرته عدسات المستوطنين أنفسهم، وتمّ تناقل مقاطع الفيديو عبر العديد من وسائل التواصل الاجتماعي، وقد اعترف قائد الشرطة في تل أبيب بفشل منظومتي القبة الحديديّة ومقلاع داؤود في منع وصول الصاروخ إلى هدفه داخل ما يسمّونه «تل أبيب الكبرى» وتناقلت وسائل الإعلام العبرية تصريح قائد الشرطة المتضمّن «إن عملية الاعتراض لم تكن ناجحة حيث أُصيب المبنى في تل أبيب بصاروخ ثقيل».

*إعلان نتنياهو عن شروط مسبقة عشية الموعد المقرّر لوصول المبعوث الأميركي هوكشتاين إلى لبنان ليس مجرد إعلان مسبق عن رفض الكيان لمضمون المسودة الأميركية التي قدّمت إلى الجانب اللبناني، وتمّ الحديث عن أنّ لبنان الرسمي والمقاوم سلم ردّه عليها، وإذ بنتنياهو يتباهى بنزعته الطاووسيّة، ويعلن شروطه المسبقة، وفي هذا رسالة ضمنية متفق عليها مع واشنطن لتسويق خطاب أنّ تل أبيب غير مهتمّة بالتوصل إلى اتفاق، ورئيس الوزراء الإسرائيلي عنيد ولا يصغي لأحد، وبالتالي على حزب اللّه والدولة اللبنانية التفكير ببدائل قابلة للتنفيذ. مع العلم أنّ التحليل الموضوعي والمنطقي المستند إلى كلّ جولات المبعوثين الأميركيين إلى المنطقة منذ سبعينيات القرن الماضي يؤكد أنّ أيّ مقترح أميركي لا يتمّ حمله إلى الأطراف ذات العلاقة في دول المنطقة إلا بعد أن يتمّ الاتفاق على كل كلمة في مضمونه مع حكام الكيان، لعلهم يحصلون عبر السياسة ما عجزوا عن تحقيقه في مسارح العمليات القتالية.

*تكرار تسريب الأخبار المتناقضة عن موعد وصول هوكشتاين، حيث تمّ تأكيدها مرة، ونفيها مرة أخرى. وهذا أحد تكتيكات التفاوض الصهيو أميركي، وهو يتكامل مع رفع السقوف من نتنياهو وبن غفير وسموتريتش وبقية المسؤولين الصهاينة، وكله عقيم لا ينجب.

*عندما يصبح وصول صواريخ حزب اللّه إلى قلب تل أبيب وإلى جنوبها بشكل شبه يومي، وعندما تتحوّل حيفا إلى نموذج آخر لكريات شمونة، وعندما تتضاعف عشرات الأضعاف أعداد المستوطنين الفارّين من أماكن إقامتهم تنفيذاً لإنذارات حزب اللّه، وعندما تتعطل دورة الحياة الطبيعية اليومية عن نصف الكيان الغاصب على الأقلّ، ويضطر مئات الآلاف للبقاء في الملاجئ لساعات طويلة وأكثر من مرة في اليوم الواحد، فهذا يعني أنّ مصطلح «التفاوض تحت النار» يحتاج إلى تصويب وتعديل ليصبح «التفاوض تحت النارين» أيّ من كلا الاتجاهين، وليس من اتجاه واحد.

*لا شك في أنّ الكيان الصهيوني متفوّق بالطاقة التدميرية بكلّ صنوفها وأنواعها وبخاصة المحرّم منها دولياً، ولا أحد ينكر الحجم الكبير للخسائر والدمار والخراب والآلام التي يلحقها الإجرام الإسرائيلي بلبنان وشعبه بجميع مكوناته، وفي الوقت نفسه لا يستطيع حكام تل أبيب وداعموهم وأنصارهم والسائرون في فلكهم الآسن أن ينكروا أنه لم يسبق لهذا الكيان منذ الإعلان عن قيامه أن أُرْغِمَ مئات الآلاف من مستوطنيه على التوجه إلى الملاجئ والغرف المحصنة بمن فيهم المقيمون في تل أبيب، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنّ الجيش الذي تمّ إعداده وتجهيزه ليكون قادراً على هزيمة جيوش دول المنطقة ما يزال يتعثر عند حافة القرى والبلدات الحدودية في جنوب لبنان المقاوم، ومع كلّ محاولة للتوغل أكثر يرتفع عداد القتلى والمصابين والخسائر البشرية والمادية والتسليحية فيُرْغَم الجيش وتشكيلات النخبة فيه على الانسحاب من المناطق التي تمّ التوغل فيها بضعة كيلومترات، وكلما ازداد عمق التوغل تضاعفت أعداد القتلى والجرحى والدبابات المدمّرة، وكلما زاد التوحش في قصف القرى والبلدات اللبنانيّة الآمنة كان على المستوطنين في ما يُسمّى: «البطن الرخو الآمن» أن يعتادوا على قضاء أوقات أطول في الملاجئ والغرف المحصّنة، وأرغم مستوطنون جدد على ترك أماكنهم خوفاً من الموت، وهذا يعني أنّ إطالة وقت التفاوض تحت النارين يؤلم الكيان الصهيوني كما يؤلم المقاومة اللبنانية.

*النجاح في التوصل لوقف إطلاق النار في هذه الظروف المعقدة والمتشابكة يعني أن نتنياهو طلب من واشنطن تهيئة البيئة المطلوبة لوقف النار بعد أن أنهك جيش الاحتلال واستنفد بنك الأهداف أكثر من مرة بلا جدوى، وفي الوقت نفسه لتفادي المزيد من الانقسام الداخلي، وخشية تفاقم الأمور وأخذها منحنيات جديدة يفرضها وقع الأعمال القتالية في الميدان، وإلا فإنّ كلّ ما يتمّ تسويقه عن قرب التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار لا يعدو كونه مماطلة وتسويفاً لمنح جيش الاحتلال وآلة القتل الصهيو ـ أميركية فرصة إضافية أخرى لزيادة عداد القتل والتدمير والترويع، وعندها تكون السردية الأميركية بكليتها ليست أكثر من ذرّ للرماد في العيون، وتكتيكات تفاوضيّة تحاول واشنطن أن تستثمرَ فيها للتغطية على العجز الميدانيّ القائم على أرض الواقع، ومحاولة إظهار أنّ المقاومة هي التي ترفض وقف إطلاق النار. وهنا جاءت الصفعة التالية بقفاز دبلوماسي مشهود لصاحبه بالحنكة والخبرة والمهارة في كلّ الجولات السابقة، وقد نقل عن دولة الرئيس نبيه بري بعد تسلّم المسودة الأميركية ما عرف بنسبة ٥٠٪ أي أنه بهذه النسبة أعاد الكرة مسبقاً للملعب الصهيو ـ أميركي، لأنّ هذا الأمر يبيح للبنان ومقاومته التحفظ حتى على ٥٠٪ مما تضمّنته المسودة، وفي الوقت نفسه تكون رسالة لبنان الرسمي والمقاوم واضحة وموافقة على وقف إطلاق النار وليست ضدّه، فليتابع العالم وينظر بأمّ العين موقف تل أبيب ليتيقن من يعرقل وقف إطلاق النار.

خلاصة

إذا كان في إدارة بايدن من لا يزال لديهم بقية من عقل وحب للمصالح القومية الأميركية العليا فبإمكان أولئك أن يسارعوا لتبديل معالم الصورة الكريهة لإدارة بايدن في أيامها الأخيرة، وهم يستطيعون فعل الكثير وإيصال رسالة قوية للداخل الأميركي وللعالم بمضمون يقول: إنّ إدارة بايدن تعمل لاستبدال النفور العالمي من السياسة الأميركية بتمرّد إسرائيلي، ولا شك في أنّ التداعيات السلبية لتمرد كيان أقلّ بكثير من استعداء العالم، كما أنّ موقفاً حازماً اليوم بفرض وقف إطلاق رغم أنف نتنياهو يعيد لواشنطن الكثير من الهيبة والمصداقية التي فقدتها، وقد يساهم في إطالة زمن الخداع الاستراتيجي الأميركي سنوات أخرى إضافية، فهل هم فاعلون؟ أستبعد ذلك.

سيد الانتصارات... رحيل بلا غياب

نمر أبي ديب

أُسدِلت ستائر الزمن، على مسرح المهمة الصعبة، وسيد المقاومة لم يترجّل يوماً عن «صهوة جواده المقاوم»، بل سطّر الملاحم وطوّع العواصف مفتتحاً زمن الانتصارات في مشهد استثنائي لم يشهده العالم الحديث، جمع على مستوى الذات والنواة الوجودية، ما بين «إعجاز

الحقيقة المقاومة، والسلوك الأسطوري»، مشهد استثنائي بإمتياز، حاكت تفاصيله متمّمات الإرادة الصلبة على مسرح المنازلات الكبرى، ورسمت ملامحه انعكاسات «الصورة الكربلائية»، على صفحات الحقيقة الكاملة في وجدان الوعي الكوني النابض الأوّل في اختلاجات الذات كما في مجمل الجوانب «النورانية»، المنبثقة من جوهر الروح، من أعماق الأزلية، المظللة لمجمل ميادين المواجهة، وساحات المنازلة التاريخية القائمة على حقائق عديدة أبرزها: انتصار الخير على الشر، القائمة أيضاً على وجودية «حرب الحقيقة» في مواجهة «الذات العبثية»، المتحكمة بمسار ومصير الحكومات المرتهنة وحتى الأسيرة للدول الكبرى وقوى الاستعمار العالمي.

أسدلت ستائر الزمن على مراحل وتقاطعات، نصرها الميداني حسن، والعين على روافدها الكون زمنية شاخصة إلى مراحل آتية، استثنائية نصرها الميداني قاسم، لا يعكره وجود غير شرعي لقوى خارجية، ولا حتى احتلال، في مراحل متقدمة، واضحة الأفق والمعالم، انطلاقاً من مسارها الجهادي، ونبضها التحرري الخافق بسرّ من عبَروا ميادين المواجهة على أحصنة المستحيل، المفعم بطيب من رحلوا من كبار قادتها الميدانيين كما رموزها التاريخيين سماحة الأمين العام السيّد الشهيد حسن نصر اللّه، ورئيس المجلس التنفيذي سماحة السيد الشهيد هاشم صفي الدين، رئيس حركة حماس الشهيد اسماعيل هنية والقائد الجهادي الكبير الشهيد يحيي السنوار وكوكبة من العمالقة الذين نسجوا من خيوط التجارب الميدانية وخطوط المواجهات العسكرية، مشالح انتصار، مرفقة برايات مقاومة، تغمرها العزة والكرامة والعنفوان مرصّعة بدماء المجد، بأريج الشهداء، بأثير الحضور الاستثنائي، وعبق «نصر اللّه القاسم»، النابع من أعماق الإرادة الصلبة، و«يقين النتيجة المستقبلية»، المفعم بنعمة العطاء وصلابة المقاومة، التي قدّمت على مسرح تشكيلاتها الجديدة «محاكاة ترميزية» غير قابلة للعزل أو حتى للحذف التشبيهي، محاكاة نابضة بسرّها الزمني، بوزنها الغيبي، كما في بعدها الباطني، ذات الطابع والتوقيع الوجودي، على مسار «الأزلية» النابضة، بحتمية انتصار الخير على الشر، بحتمية تقسيم وتفتيت (النعيم الإسرائيلي) بين قوسين، وبلوغ المرحلة بجميع مكوناتها المقاومة كما الممانعة، سقف النهاية الفعلية لـ «إسرائيل»، (الدولة المزيّفة، والكيان الغاصب).

أسدلت ستائر الزمن على «رحيل بلا غياب»، لقامة شامخة وقيمة مقاومة، كتبت المرحلة بحبر سرّها الأزلي تفاصيل الانتقال في الهيكلية لا بالنفس إلى بعد وجودي آخر لم ولن تدركه «قوى الظلام أو تنال منه أنامل الشر» التي نبضت وما زالت بـ أعماق الكيان «الإسرائيلي» بـ قلة ملوكه وكثرة أقزامه المرحليين، بـ ضباطه وحتى أركانه، كما جنوده ومتشعّبات المستوطنين، المتعدّد الأهواء كما الانتماء والسلوك والولاء والملل.

رحل الأمين، ولم تغب للحظة ملامح وجهه المقاوم، كما انهدات روحه الطاهرة، النابعة من «حدثه المقاوم»، رحل السيد ولم يفتقد ميدان المعركة إلى نبرات صوته المزلزلة مع صدى تهديداته القاسمة لدعائم الصمود والاتزان في كيان الاحتلال «الإسرائيلي»، عند كلّ مفصل وتقاطع، مع كلّ صلية صاروخية بالستية وسرب من المسيّرات الانقضاضية، مع كلّ طلقة ثبات ويقين بحتمية النصر في ميادين الحروب البرية، أو لحظة افتكار وندم في ملاجئ الكيان المهزوم، «الآيل إلى السقوط» الحتمي والاندثار.

ما تقدّم عكس من حيث المشهد سرمدية اللحظة، مع «قدسية الحدث» الذي توِّج بأسمى وأعلى درجات الفداء ومراتب التضحية (الشهادة)، حق المجاهد على عدوه كما حق الأرض على أبطالها، وأيضاً على قادتها وأوليائها الذين عصروا في كؤوس النتائج الأزلية الخالدة، دماءهم الطاهرة قربان شهادة على مذبح المواجهات المستمرة طالما هناك احتلال، وتهديد للأرض والوجود والمقدرات.

في زمن الأربعين وما بعده نؤكد حقّ لبنان في الدفاع عن حدوده عن أرضه ومقدراته، نؤكد حقّ لبنان في مقاومته، حتى زوال «إسرائيل»، وانتهاء تهديدها الوجودي أو ما يماثله أو يعادله إنْ وجد.

دخلت المنطقة مع مفاعيل الحدث الجلل المتمثّل في اغتيال سماحة العشق السيّد الشهيد حسن نصر اللّه، مرحلة النصر الكبير الحاسم والنهائي، على كيان الاحتلال «الإسرائيلي»، الذي لا بدّ أن يخضع للمحاكمة الزمنية العادلة، مهما طال الزمن، انطلاقاً من قدرية النهاية، وأيضاً من حتمية الزوال، الذي لم ولن يرحم «إسرائيل» تحت أيّ ظرف، ولا حتى داعميها.

انطلاقاً مما تقدّم، فإنّ المقاومة باقية وتتجدّد، المواجهة وحرب الوجود مستمرة، وما بينها كلمات فاصلة ونهائية، لفظها الزمن بصوت الشهيد وردّدها الصدى في كلّ ساحة حرب وميدان «إسرائيل هذه أوهن من بيت العنكبوت».